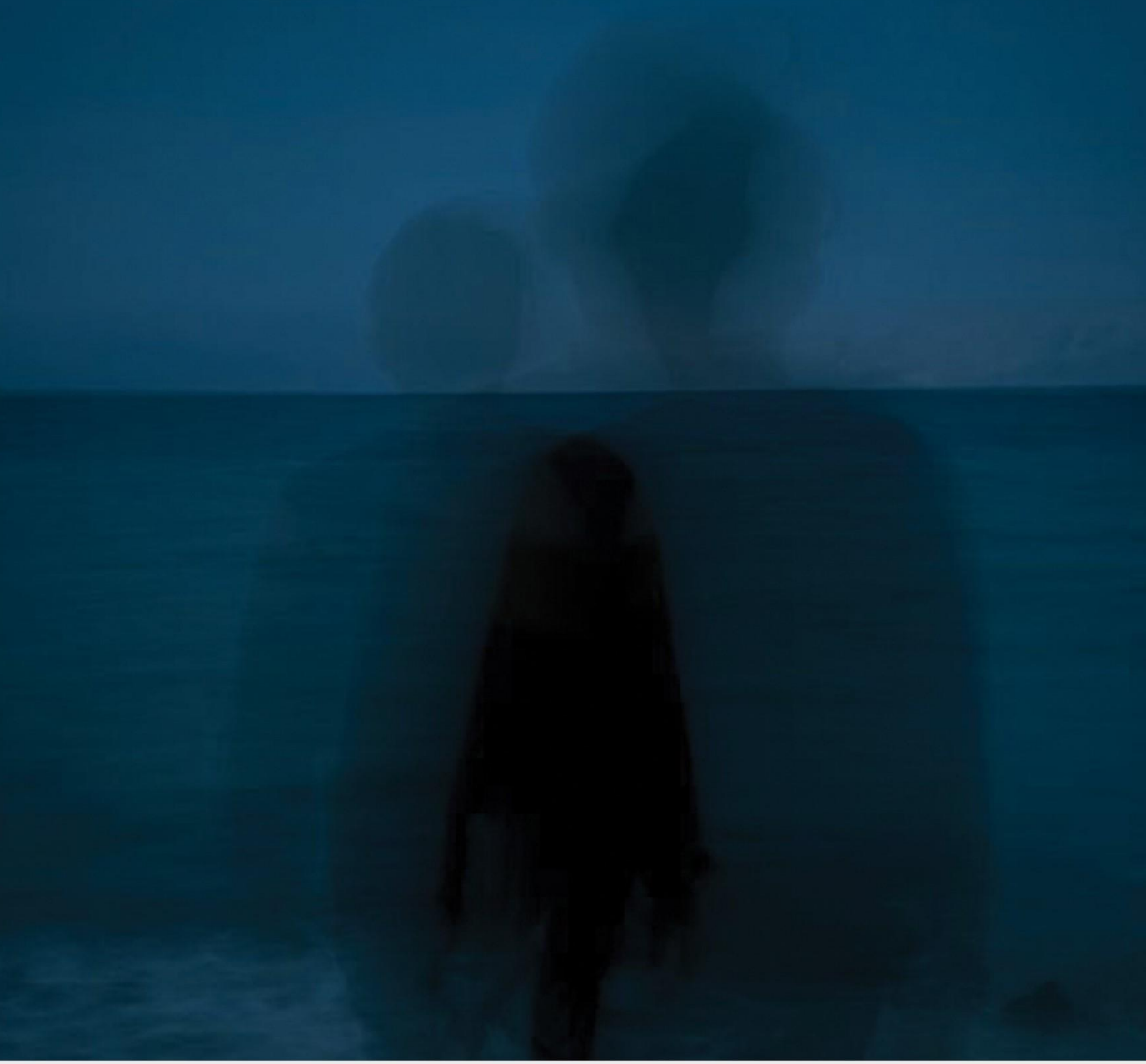

قصة قصيرة | قصة قصيرة | قصة قصيرة | قصيرة

صدع البطالة

علي الأزرق

منشورات الواحة

صدع البطالة

علي الأزرق

© جميع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.
عنوان الكتيب: صدع البطالة.
تأليف: علي الأزرق.
نوع الكتاب: قصة قصيرة.
الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.
الرقم الدولي **EBIN**: 38-024-1-231216

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967779284583

إنستقرام: **manshurat_alwaha** تيليجرام: 9dWSGDis.gd/

للتواصل مع المؤلف: t.me/all_9

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#صدع_البطالة).

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

منشورات الواحة

الطوفان!!

نعم..

لو لم يكن للموت إلا الطوفان، لاخترته سبيلاً لنبذ تداعيات البطالة وإعياءها على كل فردٍ يتسم بالنبالة.

في ظل الأوضاع الراهنة، وتدهور الأوضاع، ورداءة المعيشة، تُعد البطالة إحدى الظواهر المنتشرة بشكلٍ كبير في أوساط البلدان العربية، وتعرف البطالة أنها انعدام قدرة الأفراد على إيجاد فرص عمل تتناسب مع كفاءاتهم.. وهذا الأمر يؤدي إلى العديد من الآثار السلبية سواءً على المستوى الشخصي أو الفردي أو على مستوى المجتمع ككل، ومن ذلك ينتج العديد من المشاكل النفسية والصحية، وأحيانًا يتطور الأمر إلى مشاكل وِجدانية قد تحيل المرء إلى أن ينفر من نفسه، وحتى ربما يقع في الكثير الشر لا قدر الله.. وهذا ما يحدث اليوم للكثير من الشباب الذين تقطعت بهم السبل، وآلت بهم الحياة إلى مرامي لم يعتادوها، ولا هم يريدونها؛ فقط لأن السُبل تقطّعت بهم، تجرعوا مراراتها وويلاتها.. فنذير أحد ضحايا هذه الوذمةِ التي تدعى "بطالة"..

***

نذير شابٌ في مُقتبل عمره، يتمتع بنشاطٍ وحيوية تجعل كل من يراه يدعو لمن رباه، نشأ على التربية الحسنة وعلى طاعة الله، في بيئة يُحيط بها كل أنواع المثبطات، والتي شأنها شأن التفلت والانسلاخ عن الأخلاق والتعاليم الحميدة الحسنة.. كان عمره عشرون عامًا عندما أكمل دراسته الثانوية.. بعد أن أكمل دراسته حاول أن يسد فراغه بما يعينه على توفير مصاريفه كونه شابًا بلغ سن الرشد، ولم تعد الحاجة تدفعه للركون على والده في توفير مصاريفه.. استمر على إعالة نفسه قرابة السنة، حتى حصل له ما لم يكن بالحسبان.. فجأةً توقف عن العمل جراء ما حصل لرب عمله من إفلاسٍ لقلة توافد الناس إلى قريته؛ حيث كانت تعتبر الوجهة الرئيسية من بين القرى المجاورة لها في جميع الموارد والصادرات، حتى جاء اليوم الذي تغيرت فيه المعادلة، لتصبح المدينة وجهتهم بعد أن شاع الخبر بوجودِ استثماراتٍ وشراكاتٍ في شركاتٍ عملاقه، ووظائف

شاغرة وبراتبٍ زهيد.. ورغم تأهله للسفر ومكابدة مشقّة الغربةِ؛ إلا أنه أبا أن يفارق قريته وعائلته لما تحمل له من ذكريات وأيام صنعته.. استمر على حاله هذا حتى ضاق به المدى ذرعًا، واشتدت البلايا من حوله، وتكورت ملأ رأسه الهموم، فصار كأن صدعًا ما سيشُق طرف رأسه، ويصدعه إلى أجزاءٍ متناثرة لا تعرف للمدى سبيل، ولا للحياة طريق، إن ظلت الأفكار تنخر في رأسه جرّاء "البطالة" التي لفحته منذُ أشهرٍ من بداية العام.

استيقظ باكرًا ذات ليلةٍ على غير العادةِ قرب أذانِ الفجر، إذ لم يكن الاستيقاظ باكرًا دأبه، ولا مطيته مذْ عصرت به البطالة، لتلقيه عبر مياهها إلى شاطئ حياةٍ لم يعتادها، ولا جالت في بالهِ يومًا.. استيقظ، وظل يُحملق في أرجاء الغرفة دون أن يحرك ساكنًا لِيُلقي بنظره على مضضٍ بحائط الغرفة، ليرى أن الساعة لا تزال في الرابعة فجرًا، فقال وفي وجهه الحيرة والتعجب: ما الذي أيقضني في هذه الساعة، وأنا الذي اعتاد

الاستيقاظ بعد شروق الشمسِ بأربع ساعاتٍ على الأقل؟

عاد يقلب في رأسه كل الأشهر التي مرت ولم تغير فيه أيَّة شيء.. المكان هو، وهو هو لم يتغير، يقضي وقته مترنحًا بين الأشجار في الجانب الشرقي من البيت، أو قرب النهر الذي لم يكف يومًا عن جريانه.. أيامٌ تلو أيام، ولا جديد يذكر.. تحسس رأسه بعد أن أحس بوجعٍ كاد أن يقضم رأسه ليصيح الديك في الأرجاء، مُعلنًا بداية الفجر، لِيُنسيه وجع رأسه. نهض متثاقلاً نهوضه، وكأنه لم يستيقظ لأيامٍ من مكانه.. ليحمل نفسه متجهًا نحو النافذة المطلة على باحة البيت، ليرى دجاجاته تجيّ وتروح بغرابةٍ، وتنفض ريشها، ليثير ذلك في وجهه سمات التعجب، ليُحيل بنظره في الجانب الآخر من البيت ليرى الديك ينفضُ ريشه أيضًا، لتطرق في رأسه فكرة كأنها أطرقت في رأسه قبل أيامٍ، إذ لم يعيرها أي اهتمامٍ حينها، لأنه ظن بأنه لم يرى هذا المشهد منذ فترةٍ طويلة، أو خُيَّل له ذلك بفعل

"البطالة" التي كدسته وجعلت منه زوبعة تتنقل به بين البيت وأفنائها، دون أيَّة عملٍ آخر يدرُ عليه نشاطًا يوقظه من سباته العميق.. ليوقظه صياح الديك مرة أخرى بعد أن غَت في أفكاره، ليقول: إذا كان هذا الديك يستيقظ باكرًا، وينفض عنه الكسل، ويستعد ليومٍ جديد بكل هذه الطاقة والحماسة، ويصيح.. فما الدافع الذي يدفعه كل يوم بهذه الطاقة وهذا الدأب، ونحن البشر لدينا عقول ونفكر، ولا نعمل ما يعمله، بل إننا نسمع صياحهُ، ولا يأخذنا آخذ بتدبر حقيقة ما يقوم به؟

ظل يفكر ويدور حول نفسه دون أن ينطق بشيء، حتى أطرقت الفكرة نفسها التي كانت قد باغتته قبل أربعة أيامٍ قرب النهر، لو لا الشِجار الذي دار بين سمكتين وشتت تركيزه، ليثير ذلك في وجهه علاماتٌ من التعجب جراء ما حدث، إذ الشِجار كان حول قطعةٍ من الخبز رماها هو بعد أن أكل شطيرته، ليبقى الفتات ويرميه إلى النهر غير آبهٍ به.. عاد لصومعته

يحدث نفسه قائلاً: لماذا لا أكون مثل الديك؟ استيقظ باكرًا، وانفض عني غبار الحياة كما يفعل، واستعد ليومٍ جديد، وأحول بيني وبين "البطالة" التي التهمت أيامي معها، دون أن تعبأ بحالي، وأبدأ من الآن؟ تذكر حينها أنه قرأ ذات مرةٍ مقولة جميلة في مكتبة جده عندما كان في الثانوية العامة لأحد الكُتَّاب تقول: "إذا أردت أن تغير نفسك والعالم، فأبدأ بترتيب سريرك أولاً".. ليتوقف بعدها كل شيء من حوله؛ أفكاره، أنفاسه، حشرجة صوته، كل شيء عداه، لتتضح وجهته، لتعطيه هذه المرة الضوء النافذ كي يبدأ بفكرةٍ دون أخرى، ليبدأ فورًا دون انتظار في ترتيب سريره وترتيب نفسه والاستعداد للخروج لصلاةِ الفجر.. خرج والسكينة تُحيط به من كل جانب، ليبث في قرارة نفسه شيء من الثبات والاتزان النفسي، ليتنفس الصعداء مغلقًا عينيه.. كم كان يفتقد هذا الشعور الحر منذ أن أعيت حياته وأصبحت تدور في فلكها المعتاد.. فكان في كل

خطوةٍ يخطوها، يجد أساريره تتفتح، ويصدح شعور الحرية جليًّا أمامه بعد أن فقده لشهور..

وصل إلى المسجد، وإذا بالناس ترمقه من كل زاوية، وكأن حدثًا غريبًا أذهلهم، وأشغلهم عما هو أهم من تواجدهم بالمسجد.. راح ينظر إليهم بطريقة فيها قليل من التعجب والخجل.. ليصدر بعد ذلك بتوترٍ وارتباك "السلام"، ويدلف إلى صفٍ من الصفوف ليؤدي ركعتي "السنة".. استمر وضع النظرات حتى أقام الإمام الصلاة، لتهدأ جلبة قلبه، ويستقر نظره غير مطأطًأ رأسه.. أدى الصلاة، وجلس بعدها ينظر إلى الناس وهم يهيمون بالخروج واحد تلو آخر، ويتبادلون همهمةً لا تكادُ تُسمع؛ ليعبر بعدهم بخوفٍ وقلق من تلك النظرات التي لا زالت وكأنها تخبره بأن لا يخطو خطوة أخرى خارج المسجد.. خرج وإذا بكل أحدٍ منهم قد ذهب في معاشه ومهامه، وربما عاد آخرون إلى النوم.. لينظر في الجانب الآخر من باب المسجد، ليجد صديقه "منذر"، منذر الذي لطالما افتقده وافتقد

نصائحه عندما كانا يعملانِ معًا قبل أن يُفلس رب عملهم.. رآه يقف مشدود القوام، ثابت الكيان، قد تغير كثيرًا.. ليلتفت إليه ويرمقه بنظرةٍ ليقول له: تعال أيها الفتى الغائب.. ليدق قلبه مسرعًا، من كلماته "فتًى غائب"؟

- مرحبًا بك!

- أهلاً بك!

- رأيتك اليوم، فاستقر قلبي، واستبشر خيرًا، وإنا الذي قد بلغ اليأس مبلغه مني؛ حتى كدت أجزم أنه تكمن مني حقًا بعد أن صرفت كل الطرق في إعادتك إلى عهدك السابق!

- لا أدري كيف حصل هذا معي، وكيف أتيت اليوم، غير أنني أيقنت أن الإنسان يمكنه إعادة تشكيل حياته من جديد، والبدء من حيث توقف، دون أن ينظر إلى سابق عهده، وإصلاح شروخ حياته التي سببتها "البطالة" أو أيًّا كان السبب، وأنا أعلم أن هذه الشروخ والتصدعات لا يُصلِحها إلا العزيمة والإرادة

الصادقة التي يتبعها يقين والرجوع إلى رب هذا البيت، والاقرار بكل ما آلتك الحياة إليه، والبدء من جديد.

- يمكنك فعل ذلك وأكثر؛ فالطريق والسبيل ممهدٌ دائمًا لمن ينوي ويصدق الوجه لله؛ فالله يقبل كل من يأتيه ولو حبوًا؛ فما بالك بمن يأتيه مهرولاً؟

- حقًا أنه ربٌ عظيم الشأن! سبحانه ما عبدناه حق عبادته!

أريد إخبارك بشيء؟

- ما هو؟ تفضل!

- استيقظت اليوم على غير العادةِ قرب أذانِ الفجر، وإذا بثقلٍ يعتريني ولا أدري ما سببه، غير أنني تناسيت ثقلي ونهضت غير آبهٍ لشيء، غير أن دافعًا ما قام بدوره ليصحبني إلى النافذة.. نهضت وقبل أن أنهض سمعت صياح الديك، فما إن دلفت إلى النافذة، حتى رأيت الديك ينفض ريشه بنشاطٍ أكاد أجزم أنه يستعد لحضور لقاءٍ ما بنشاطٍ يفوق التصور! ما أذهلني حقًا هو أن هذا الديك يعرف حقيقة حياته، وحقيقة

معاشه، ليستيقظ باكرًا كل صباح بدون عجزٍ وكسل، ونحن البشر ميزنا الله بالعقل، وأودع فينا ما لم يودعه في أحدٍ من خلقه، ومع ذلك نتكاسل ونتخاذل أمام ما يُصلح لنا ديننا ومعاشنا؟ أنه لأمرٌ عجيبٌ حقًا! وإن الأمر لفيه من العجب ما يقشعر معه البدن! حيث أن نعمة العقل هي أفضل نعمةٍ منّها الله على الإنسان، الذي هو دعامة كل شيء، وصمام أمان الحياة، والذي لا يستطيع أحدٌ في الدنيا على إصلاح معيشته ولا إحراز نفعٍ ولا دفع ضررٍ إلا به!

- نعم.. الله اختصنا من بين كل المخلوقات، وأودع فينا ما لم يودعه في خلقٍ من خلقه، وأفضل نعمةٍ هي نعمة العقل، وهذا لا يعني أن الله لم يضع الصفات الحسنة في الحيوانات، بل إنه أودع فيها ما يجعلها تستيقظ وتسعى لرزقها ومعاشها كما تستيقظ أنت، وأودع فيها الشعور كما أودعه فيك.. تتجنب المخاطر، وتتقفى أثر الفرائس لتطعم صِغارها.. منها ما يطير ومنها ما يزحف، ومنها من يمشي على أرجل.. ألم

تسمع قول الله تعالى: {والله خلق كل دآبةٍ من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيءٍ قدير}..

- بلا، سمعتها مرارًا وتكرارًا.. لكن وقعها هذه المرة يختلف عن سابق المرات التي سمعتها! يا للعجب.. تمر بنا آيات ولا نتدبرها، ثم تمرّنا مرة أخرى فتدفئ قلوبنا بوقعها!

- نعم!

- أتذكر أيامي قبل سنةٍ من الآن، عندما كنا معًا، وكيف أنها كانت عامرة البنيان، شاهقة البيان، عظيمة الإيمان.. واليوم هأنا أمام تحولٍ جديد يثري عليّ حياتي، بعد هذا الكم الهائل من العناء المتكدس داخلي، وأطراف حياتي.. أتدري؟

- ماذا؟

- كلما حاولت أن أمد يدي ورجلي نحو الحياة من جديد، تركِلُني، وتُعيدوني من حيث نويت أن أُعيد تشييد بنياني من جديد.. إنها الحياة! من لا يصدق الوجه فيها لله، فلن يصادف إلا البلايا طوال حياته، وإن كان نعيم الحياة يغمره بوابلٍ من الماديات.

- نعم.. إن الحياة معنى، فمن فقد المعنى فقد الحياة.. ولا سبيل للنجاة إلا بإسلام الوجه لله، والتفكر بما أنعم الله به عليك، دون التحسر على ما فات، سواءً أكان ذلك في الصحة أم في المعاش.. وأعظم ما يقدمه الإنسان لنفسه وسط هذا المجتمع، هو أن يكون حقيقيًا مع نفسه وعلى سجيته، وأن يبذل ما في وسعه في سبيل البحث عن الجوهر والمعنى، راجيًا ألا تسقط روحه في وحل الزيف والادعاء والتصنّع.. وأنت اليوم أيقظك جوهرك، بعد أن تشبع "بطالة"،

وأصبحت روحك كمدًا تأبا أن تستمر على هذه الحالة والحسرة.

- نعم.. وأظن أن هذا عهدٌ جديد يدق بابي، راجيًا أن يصلح معاشي ومعادي..

- أتمنى لك كل ما فيه خيرًا لك في دينك ودنياك..

- آمين.. والآن أستأذنك، فورائي الكثير من الأعمال التي سأقوم بها، وأول عملٍ سأقوم به هو إطعام الديك، ولعله حقًّا يكون لديه موعد ما..

- ههههه.. رُبما!

- وهذه المرة سأطعمه بيدي جراء ما حدث لي بعد أن رأيت ما رأيت وغير نظرتي تجاه الحياة..

- حسنًا.. أذهب، ولا تنسى أن يكون كل شيء ستُقدم عليه بعد اليوم خالصًا لوجه الله، ولا تأخذك الدنيا، فتصنع فيك ما تصنع من

غرورٍ وأنت لا تدري.. فكل ما حدث وسيحدث لك ما هو إلا منّةٌ من الله لك وعليك.

- حسنًا حسنًا.. أعدك بأنني سأعمل بنصيحتك.

- أتمنى لك التوفيق..

- آه.. تذكرت شيئًا!

- ما هو؟

- ما رأيك أن تأتي معي نتجول قرب النهر، وننفس عن كربٍ أضاق صدورنا؟

- فكرةٌ رائعة؛ حيث أنني اشتقت إليك، وإلى جِدّية هزلك..

- أترى كيف النهر يجري ولا يتوقف؟ منذُ أن توقفت عن العمل، وأنا آأتي كل يومٍ أتأمل فيه بعين الدهشةِ كيف يجري ولا يتوقف، وكيف يمر بين الوديات دون أن يتعب أو يضجر؟

- إنها سنة الله منذ أن خلق الله الأرض، حيث أنه يجري ولا يتوقف.. تخيل أن

نعيش بدون ماء؟ أو أن وديانا تنضب.. تخيل فقط كيف سيكون شكل الحياة؟

- آهٍ! كم أن هذا مؤلمٌ ومخذلٌ في ذاتِ الوقت.. لن نعيش، ولن يثمر أي شيء على وجه هذي الأرض.. لا نباتاتٌ ولا حيوانات.. وعلى ذكر الحيوانات، فالديك اليوم اعطاني درسًا لن أنساه ما حييت، فيا سبحان الله؛ نغفل وتُحجب علينا الرؤية، ثم تأتينا إشارةٌ من الله من حيث لا نتوقع، لتعيد ترتيب حياتنا وإصلاحها بعد أن كانت خراب!

- نعم.. يعطيك الله إشارة من حيث لا تتوقع، من أضعف نقطة بالوجود، ليريك حكمته ورحمته بك، وأنه أرحم بك من أمك.. انظر أيضًا إلى قابيل الذي قتل أخاه هابيل -حيث كان هابيل أول قتيلٍ من البشر على الأرض-؛ لم يدرِ قابيل ما يفعله بجثة أخيه، فبعث الله -عزَّ وجل- غرابين أمامه فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر،

ثم قام الغرب بحفر حفرةٍ في التراب ودفن الغراب المقتول فيها، فقال قابيل ابن آدم -عليه السلام- الذي قتل أخاه كما ورد في القرآن الكريم في قوله -تعالى- {يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين}، ففعل مثل ما فعل الغراب ودفن أخاه، ثم صار الدفن بعد ذلك سُنّةً في بني آدم، أي نحن البشر..

- نعم نعم، وعلى ذلك قس ما حصل معي اليوم.. بل إن قصة قابيل وهابيل تعطينا درسًا لا يمكننا أن نتخيله أو أن يحصل لنا طوال مسيرةٍ علميةٍ جمّة!

- وهكذا هي حياتنا؛ كما نحتاج إلى الماء، نحتاج أيضًا أن يكون لنا دأبٌ يذر لنا معاشنا، ونشغل فيه أنفسنا بما ينفعنا ويعود علينا بالفائدة، وأن الفراغ الذي يُحيط بنا هو أكبر عدوٍ يواجهه الإنسان في حياته!

- نعم.. وهذا ما أدركته طوال الأشهر التي مرت وأنا مكدسٌ بين أحبال "البطالة" دون أيَّة عمل.. أصبحت أرى الحياة بلونها الأسود بعد أن كانت لوحةٌ فنيةٌ غايةٌ في الجمال، مكسوةٌ بألوان زاهية تُحرك مدار حياتي وتعود عليّ بطاقةٍ نفسيةٍ عميقةٍ لا يدركها إلا من فقد تلك الألوان..

- بما أنك أدركت حجم الأمر، وتفاقمه على حياتك، وخطورته.. فآن لك أن ترجع، وتستثمر بقية حياتك من حيث توقفت، وتذكر أن ما من ساعٍ يسعى ويخلص النية لله؛ فإنه سيصل، ويحقق مراده من هذه الدنيا، سواء كانت الغايةُ دنيويةٌ أم أخرويةٌ.

عادت حياته كما كانت؛ بل وعادت عليه برؤى واسعة، وأحلام أكبر حجمًا مما كانت عليه في السابق؛ حيث قرر أن يخصص جزءًا من يومه في تعليم الأطفال وبعض من هم أقل عمرًا منه.. يعلمهم الأعمال التي تعود عليهم بالفائدة، وتحول

بينهم وبين الفراغ، والتي قد تقيهم شر بوائق "البطالة"، بعد أن رأى ضررها على حياة الفرد، وكيف أنها تخرجه من طور كونه خليفة الله في الأرض، ليحاول جاهدًا أن يلم شعثًا، ويحيي قلبًا، ويصنع أثرًا، ليكتب أخيرًا في مذكرته وصيةً يوصي بها من سيأتي بعده، ويُكمل ما بدأه، على أن يترك وصيته في قبو المكتبة لعل الله يرسل من يقرأها، ويعي ما حوت بين دفتها، ويأخذ وصيته على محملِ الجِد:

تعلم واعمل، فليس ما هو أهون عليك من العمل، وأن الإنسان مغبونٌ بين نعمتين "الصحة والفراغ"، وينبغي لك كمؤمن أن تستغل هاتين النعمتين فيما يرضي الله ويقربك منه في كل شأنٍ من شؤون حياتك العلمية والعملية، فإذا تركت هاتين النعمتين ولم تستغلهما، فقد غُبُنت حياتك، وهان عليك مآلك، وقضمَ عليك ضميرك، وأوجعتك معيشتك.. فلا أنت

ظفرت وظفرت الحياة بك، ولا أقامتك نفسك مقام الأمة.. فأقدم إقدام الأسد الباسل، وانهض نهوض الروايا، تحيّ بك الأمة وإن كنت فردًا.. والله لك معين، وهو يجزي المُقدمين..

صدع البطالة

لو لم يكن للموت إلا الطوفان، لاخترته سبيلًا لنبذ تداعيات البطالة وإعياءها على كل فردٍ يتسم بالنبالة.

منشورات الواحة